استراتيجيّات الخطاب في روايّة "مديح الكراهيّة" لخالدّ خليفة ـمقاربة تداوليّةـ

Discourse strategies in the novel : In ¨Praise of hated¨ Khaled Khalifa A pragmatic approach

أ. بلكرفة عيسى[1]

تاريخ الاستلام: 11- 07- 2019 تاريخ القبول: 20- 10- 2019

ملخّص: تهدف هذه الدّراسة إلى مقاربة استراتيجيات الخطاب في الرّوايّة السّياسيّة العربيّة "مديح الكراهيّة" للكاتب السّوري "خالدّ خليفة" أنموذجًا وقامت هذه المقاربة على أساسين اثنين أوّلهما نظريّ ضُبط فيه كلٌّ من مفهوميْ الاستراتيجة والخطاب، وبيان العناصر التي يقوم عليها كلٌّ منهما، إذْ يشتركان في علاقة التّواصل والتّأثير والتّأثر بين طرفي الخطاب.

وأمَّا الأساس الثّاني فيتّضح من خلال إبراز الفعاليات التّداوليّة لكلّ من الاستراتيجيّة والخطاب، ومن ثمّة الكشف عن السّياقات اللّغويّة وغير اللّغويّة التي تسهم بشكل كبير في تحديد نوع الخطاب وجنسه، والوقوف عند مسوّغات وآليات كل استراتيجيّة خطابيّة.

كلمات مفتاحيّة: الاستراتيجيّة؛ الخطاب؛ التّداوليّة؛ التّضامنيّة؛ التّوجيهيّة؛ التّلميحيّة.

[1] جامعة محمّد بوضياف، المسيلة، الجزائر، البريد الالكتروني: belkarefa.aissa@gmail.com (المؤلّف المرسل)

المنارة للاستشارات

Abstract: This study aims to approach the strategies of discourse in the Arab political novel "In Praise of Hated" to the Syrian writer "Khalid Khalifa" as model, this approach was based on two principles: the first one is theoretically where the concepts of strategy and discourse were set, and showing the elements on which they are based, as they share the relationship of communication, influence and influence between the two ends of the discourse.

The second basis is revealed by highlighting the pragmatic activities of both the strategy and the discourse, therefore revealing the linguistic and non-linguistic contexts that contribute significantly in determining the type of the discourse and to stand on the rationale and mechanisms of each discoursal strategy.

Keywords: Strategies; discourse; pragmatic; solidarity; rhetoric; orientations.

1- مقدّمة: "مديح الكراهيّة" هي الرّوايّة الثّالثّة لخالدّ خليفة بعد "حارس الخديعة" و"دفاتر القرباط"، يقتحم الكاتب فيها بجرأة عالمًا من صراع الأصوليين والسّلطة السّوريّة الذي ساد فترة الثّمانينيات، ونتج عنه كوارث إنسانيّة ماتزال آثارها باديّة للعيان حتّى اليوم. ويرسم بتفاصيل دقيقة واقع الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة، هذا الواقع الذي كانت فيه حلب المبتدأ والمنتهى في آن واحد مرورًا ببيروت وأفغانستان والرّياض وعدن ولندن...

ولأنّ "مديح الكراهيّة" روايّة تعيد التّاريخ إلى جوهره، حين تعيد لليوميِّ المغيّب اعتباره، بمجموعة متداخلة من الخطابات التي تومئ بتواصليّة وفعاليّة لشخوصها جعلت من الاستراتيجيّة ضرورة لا بدّ منها في سرد الأحداث وتواصل الشّخوص. هي روايّة يغدو التّاريخ فيها خطابًا رسميًا، وأين يكون الرّسميُّ يوضع للخطاب استراتيجيات تتحكّم فيه.

المنارة للاستشارات

إنَّ استراتيجيّة الخطاب مصطلح مؤلّف من لفظتين، هما: الاستراتيجيّة والخطاب فلكلّ لفظة مفهومها المستقل في الأصل عن مفهوم اللّفظة الأخرى غير أنّ مفهوم الاستراتيجيّة مفهومٌ عامٌ، وأمَّا مفهوم الخطاب فهو مفهومٌ خاصٌّ، [1] فما مفهوم الاستراتيجيّة وما مفهوم الخطاب؟ وما العلاقة الجامعة بينهما؟ وما هي آليات ومسوّغات استراتيجيات الخطاب في الرّوايّة العربيّة؟

2- **مفهوم الاستراتيجيّة:** الاستراتيجيّة (Strategy): مصدر صناعيٌّ، وهي فنّ من الفنون العسكريّة ويُقصد بها التّخطيط لتحقيق سياسة ما وللتَّحكُّم في الوضع بشكل كليّ، وتعرف أيضًا بكونها: «طرف محدّدة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمّة من المهمّات، أو هي مجموعة عمليّات تهدف إلى بلوغ غايات معيّنة أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محدّدة والتّحكّم بها». [2]

هذا المفهوم يبيّن فيه صاحبه أنَّ مصطلح الاستراتيجيّة هو مصطلح دخيلٌ على مجال الأدب عامّة وعلى مجال تحليل الخطاب خصوصًا، فمبتدأ استعماله كان محصورًا على الفنون العسكريّة وفي الحرب أو الحياة السّياسيّة ليعمّم بعد ذلك استعماله فيشمل شتَّى مناحي حياة الإنسان؛ الاقتصاديّة والماليّة والعسكريّة والسّياسيّة والأدبيّة والنّقديّة.

هذا مفهوم الاستراتيجيّة عامّة أمَّا عن علاقتها بميدان الخطاب، فقد ارتبطت بشقّه التّواصليّ التّفاعليّ بين طرفيه (المرسل والمتلقي)، لهذا يركّز المتكلّم أثناء التّواصل مع المتلقّي على تبليغ مقاصده وأهدافه معتمدًا طرائقَ تحقُّق ذلك علمًا أنّ الخطاب يتنوّع بين طرفيه تبعًا لتنوّع الطّرائق وتغيّر السّياق المحيط لذلك تجد المتكلّم يستغل أيَّما استغلال الإمكانات اللّغويّة وغير اللّغويّة التي تنتظم وفق مقتضيات السّياق و"يتجلّى هذا التّنظيم عند التّلفظ بالخطاب فيما يسمّى باستراتيجيّة الخطاب وهذا يعني أنّ الخطاب المنجز يكون خطابًا مخطّطاً له، وبصفة مستمرّة وشعوريّة". [3]

المنارة للاستشارات

إنَّ هذه الخصوصيّة التي وسمت معنى الاستراتيجيّة أهَّلتها لتكون من أهم القضايا التي تحدّد التّميز والاختلاف بين الخطابات المتعدّدة، فلا يمكن للمرسل أن ينتج خطابًا بمعزل عن السّياق الذي قيل فيه، ويجب عليه كذلك أن يستعمل العلامات اللُّغويّة وغير اللُّغويّة وينوّع سلوكاته بتنوّع ظروف الخطاب فتارة يكون كلامه مباشرًا واضحًا لا يقبل التّأويل، وتارة يكون كلامه غامضًا ملمّحًا فقط وتارة يكون المرسل متأدبًا وأخرى تجده عدوانيا وثالثّة متحيّزًا ورابعة معميًا وملبسا.

يرى "عبد الهادي بن ظافر الشّهري" أنَّ الاستراتيجيات الخطابيّة تتعدّد بتعدّد الظّروف والعوامل الثّقافيّة والتّاريخيّة والبشريّة التي يولد فيها الحدث وإنّ أيَّ تغيير بأحد عناصر الخطاب يتبعه تغيير في طرقه، فالاستراتيجيّة بالمقام الأوّل خطَّة للوصول إلى الغرض المطلوب، تتحدَّد وفق محورين: أوّلهما البعد الذّهني والآخر البعد المادّيُّ الذي يشكِّل تلك الخطّة، ويرتكز كلا المحورين على الفاعل الذي يحدّد مسار خطّته، وزمان تنفيذ أركانها. [4]

3- **مفهوم الخطاب:** مصطلح الخطاب (Discours) هو مصطلح نقديّ ما بعد حداثيّ في بعده الفلسفيّ العام، وما بعد بنيويّ في بعده النّقديّ والمنهجيّ وقد ورد مصطلح الخطاب غالبًا، ولأوّل مرّة، عند **"هايمز"**، ويقال أنّ **"هاريس"** هو أوّل من استعمل مفهوم الخطاب في الدّراسات اللّسانيّة الحديثة، [5] وهو مصطلح يندرج ضمن حفريات المعرفة (L'archéologie du savoir) للفيلسوف الفرنسي **"ميشال فوكو"** إذْ هو نسقٌ من العلامات الدّالة ومصطلح من المصطلحات التي تلقّفتها الدّراسات اللّغويّة ولقيت رواجًا كبيرًا لدى الدّارسين فالخطاب كيانٌ ليس بالجديد ولكنّه مفهوم متجدّد، يولد في كلِّ زمن ولادةً جديدةً اقترن قديمًا بالنّصوص المتعاليات من القرآن الكريم والشّعر الجاهلي، وما تمثلّته الآثار الأجنبيّة الخالدّة كالإلياذة والأوديسا فهي نماذج لخطابات متفرّدة، لذلك نجد مفهوم الخطاب يختلف باختلاف المدارس وتوجُّهات الدّارسين.

المنارة للاستشارات

والخطاب من الكلمات الاصطلاحيّة الأقرب إلى التّرجمة، والتي تشير حقولها الدّلاليّة إلى معان وافدة، ليست من قبيل الانبثاق الذّاتي في الثّقافة العربيّة، فما يقصد بمصطلح (الخطاب)؛ نوعٌ من التّرجمة والتّعريب لمصطلح (Discourse) في الإنجليزيّة ونظيره (Discours) في الفرنسيّة، و(Diskurs) في الألمانيّة... [6] ومن التّعاريف من تنظر إليه داخل إطار السّياق الاجتماعي بغضّ النّظر عن رتبته حسب تصنيف النّحويين له، أيْ بوصفه جملة أو أكثر أو أقل فلا فرق بين هذه المستويات النّحويّة في الخطاب، التي تكون لها علاقة بالموضوع من جهة ما، فيعرفه بنفنيست (E.Benveniste): «بأنَّه كل تلفُّظ يفترض متكلّما ومستمعًا وعند الأوّل هدف التّأثير على الثّاني بطريقة ما» [7] وينظر إليه **"ميشال فوكو"** من زاويّة أخرى ويقرن تعريف الخطاب بوصفه ملفوظا، ولا فرق عنده بين الخطاب والملفوظ، يقول: «نسمّي خطابًا مجموعة الملفوظات التي تنتمي إلى نفس التّشكيلة الخطابيّة». [8]

إنّ ارتباط الاستراتيجيّة بالخطاب له ما يبرره لأنّ الخطاب بالنّظر إلى أغلب مفاهيمه تجده يتكوّن من مجموعة من العناصر(المرسل، المرسل إليه، السّياق) تتفاعل هذه العناصر فيما بينها فيقوم المرسل باختيار العبارات والكلمات المناسبة وكذا اختيار السّياق المناسب له، فهو قبل التّلفظ بخطابه يخطّط لكيفيّة إنتاجه وكذا كيفيّة إيصال معناه إلى المرسل إليه، فالمرسل يحرص كل الحرص على استعمال اللّغة استعمالا دقيقا يتلاءم والسّياق، وحتى يتمكّن من القيام بهذه العمليات لابد أن تتوفّر فيه كفايّة لغويّة بالإضافة إلى الكفايّة التّداوليّة. [9]

4- **أنواع الاستراتيجيات التّخاطبيّة:** قبل الحديث عن استراتيجيات الخطاب وأقسامه، وجب التّنويه إلى أنّ التّواصل بين المرسل والمرسل إليه في الخطاب لا يكون اعتباطيا عشوائيا، فـ"لا يتكلّم المتكلّم مع غيره إلاّ إذا كان لكلامه قصدًا" [10] وقصديّة الخطاب أمرٌ ضروريّ في عمليّة التّواصل، "والعلم

المنارة للاستشارات

بالمقاصد يغدو ضرورة أساسيّة في تحقيق الخطاب أغراضه وإيصال المتكلّم مراده إلى سامعه، بل إنَّ المتلقي للخطاب بما أنَّه العنصر المقصود بخطاب المتكلّم لا يقدر على ممارسة فعل التّأويل ما لم يكن عارفا بمقاصد المتكلّم". [11] ويستعمل المرسل لتحقيق ذلك خططًا للتّلفظ بالخطاب، بما تقتضيه العلاقة بينه وبين المرسل إليه إذن فإنَّ (المرسل) للخطاب يختار استراتيجيّة معيّنة وفقا لدواعي السّياق والنّسق فتجده يستعمل التّوجيه أو التّلميح أو الاقناع أو يتضامن مع المرسل إليه في علاقة تودّد بينهما.

وينبني تحديد استراتيجيّة الخطاب اجتماعيًا على عاملين اثنين: يمثّل الأوّل العلاقة بين المرسل والمرسل إليه أمَّا الثّاني فيتمثّل في عامل السّلطة، وهو مردُّ تصنيف **"ليتش"** للعلاقات بين النّاس إلى صنفين: صنف أساسه معيار التّضامن كبعد اجتماعي، وصنف محوره السّلطة، [12] وهذا يخص العلاقات العامّة بين المتخاطبين، أمَّا إذا تعلَّق الأمر بجوانب أخرى وسياقات أخرى من الكلام، فتجد المرسل يستعمل عبارات التّودد عند التّعامل مع المرسل إليهم، كأنْ يصارحهم ولا يجعل خطابه غامضًا ومعقدًا.

كما أنَّ البحث عن أنواع الاستراتيجيات يثبت أنَّ هناك عددًا لا حصر له منها وأنّه "لا يمكن التّلفظ بالخطاب إلّا باستعمال استراتيجيّة خطابيّة معيَّنة". [13] والاختلاف كامن في تصنيفها فهناك من حاول تصنيفها تصنيفا عامًا بالنّظر في مساراتها العامّة وقواسمها المشتركة، باستعمال بعض المعايير المقترحة، أهمّها ثلاثة معايير: المعيار الاجتماعي ويتعلّق بالعلاقة بين طرفي التّخاطب، وقد تفرَّع عن هذا المعيار استرتيجيتان هما: الاستراتيجيّة التّضامنيّة والاستراتيجيّة التّوجيهيّة، ثانيا معيار شكل الخطاب ويتعلّق بشكل الخطاب اللُّغوي، للدّلالة على قصد المرسل، وعن هذا المعيار تفرَّعت الاستراتيجيّة التّلميحيّة، ثالثًا: معيار هدف الخطاب وعنه تفرَّعت الاستراتيجيّة الحجاجيّة". [14] هذا القول يلخص أنواع الاستراتيجيات، وهي كالآتي:

المنارة للاستشارات

1.4 **الاستراتيجيّة التّضامنيّة:** تعرّف هذه الاستراتيجيّة لتعطي معنى على التّعاون والتّشارك من قبل أشخاص أو مجموعات اتجاه الفرد أو اتجاه الجماعات وبذلك يمكن القول أنّها "الاستراتيجيّة التي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطورها بإزالة معالم الفروق بينهما وإجمالاً هي محاولة التّقرّب من المرسل إليه وتقريبه [...]؛ بما يجعله واثقًا بأن المرسل يميل إليه ميلا طبيعيا خاليًا من أيٍّ دوافع أو أغراض منفعيّة" [15] تضعه تحت تهمّة جنيِ المصلحة فحسب.

ولتتبع هذه الاستراتيجيّة في روايّة "مديح الكراهيّة" يمكن الوقوف على:

1.1.4 **.الرّؤيّة والفهم:** تتشكّل الاستراتيجيّة التّضامنيّة في مدونة "مديح الكراهيّة" هذه الرّوايّة التي تصوِّر مأساةَ وطنٍ، وتعكس صراعًا حادًا بين الأصوليين والسّلطة السّوريّة، في الثّمانينيَّات من القرن الماضي، غير أنَّ هذا الصّراع بين الفريقين لا محالة يكشف من جهة أخرى عن تضامنٍ وتكافلٍ بين أبناء الطّائفة الواحدة، وخير من جسّد ذلك الصّراع والتّضامن بطلة الرّوايّة التي تنتمي إلى الأصوليين وهي تعي أهميّة التّضامن وتفهمه جيدا وتستخدمه لإظهار تلك المشاعر؛ مشاعر الكراهيّة التي بُنيت عليها المأساة أوّلًا وارتكزت عليها في الأساس الرّوايّة فحينما يوجد الحبُّ والعدل تمتنع الكراهيّة ويمتنع الأسى والخراب؛ تتضامن البطلة مع أبناء طائفتها مدافعة عمّا تعتقده فتقول: **«دافعت بشراسة عن تغييراتي، مبديّة أسفي أنَّهن لا يشاركنني الاحساس بروعة قتل أبناء الطّائفة الأخرى وتمجيد المجاهدين... لنصرة إخواننا الذين يتعرضون لمهانة الشّيوعيين السّوفييت... كان المجاهدون يحلمون بتحويل أفغانستان إلى نموذج لدولة الخلافة»** [16].

تظهر البطلة في هذا المقطع السّردي وهي تدافع عن خياراتها وتبدي في الوقت ذاته تضامنها مع أبناء طائفتها، تتضامن معهم وتشاركهم أفكارهم ومبادئهم

المنارة للاستشارات

تشاركهم حتى روعة الإحساس بقتل أبناء الطّائفة الأخرى، تتضامن معهم فتمجِّد صنيعهم تتحاور معهم تشاطرهم أحلامهم بإعادة تأسيس دولة الخلافة الإسلاميّة.

2.1.4.**المسوغ والغايّة:** إنَّ هذه الاستراتيجيّة جاءت مدفوعة بعدد من المسوِّغات تسعى البطلة (المتكلّم) فيها إلى المنفعة المشتركة مع الأصوليين الذين تتواصل معهم، هذه الغايّة التي تصبو إليها جعلتها تلغي كل المسافات الاجتماعيّة في علاقتها مع الآخر الصّديق، لتجسّد بذلك صفة التّضامن والذي له ما يسوغه كأن يكون:

- تلبيّة الحاجة النّفسيّة والعاطفيّة والتّحيّز للإيديولوجيا التي تؤمن بها ومن ثمّ الإسهام في بناء تكتّلات وتنظيمات طلابيّة مؤيّدة لمواقف الأصوليّين سواء في الجامعة باعتبار أنّ البطلة طالبة في كليّة الطّب، أم في المدينة التي تقطن فيها (مدينة حلب)؛
- تُعْنَى بالبعد الأخلاقي أوّلا دون إغفالٍ للاهتمام بالقصد والتّعبير عنه [17] فالأساس الذي بُنِيت عليه "مديح الكراهيّة" هو التّصوير الجمالي لعوالم نسوة حلب وعاداتهن وتقاليدهن والمبالغة أحيانا في تصوير ذلك، ليس لشيء إلَّا اهتمامًا بالبعد الأخلاقي؛
- وهناك مسوّغات أخرى تحقَّقت لهذه الاستراتيجيّة، فيمكن أن تكون بطلة الرّوايّة تسعى لإثبات ذاتها وتحقيق طموحاتها، لتَنتقل من قضيّة الاستغلال إلى فكرة الاستثمار، فوصف "عبد الله" وتصويره لها بالمجاهدة الصّغيرة هو نوع آخر من أنواع التّضامن؛ أيْ تضامن رجال التّنظيم مع البطلة، ففي بدايّة المقطع أبدت البطلة تضامنها مع التّنظيم وفي نهايته، حدث التّضامن العكسي.

ويمكن القول: إنّ الاستراتيجيّة التّضامنيّة في هذه الرّوايّة تستعملها البطلة لتتضامن مع أهلها أوّلا، ومع رجال التّنظيم التي هي جزء منه، أو تتضامن مع زملائها في الثّانويّة أو كلّيّة الطّب، وتتضامن مع ضحايا مجازر سنوات الدّم في

المنارة للاستشارات

حلب وحماة، أو تتضامن مع المسلمين عامّة في كل من أفغانستان وعدن وبيشاور... غير أنّ المحصِّلة النّهائيّة تفضي إلى نتيجة بأنّ الاستراتيجيّة التّضامنيّة داخل التّنظيم كانت أكثر استعمالًا.

3.1.4. **آليات الاستراتيجيّة:** تجعل الاستراتيجيّة التّضامنيّة المتكلّم يعمد إلى استعمال اللُّغة الطّبيعيّة المجسّدة للخطاب فله من "الوسائل اللسانيّة التي يجعلها المرسل علامة على توجيه المخاطب إلى المرسل إليه من النّاحيّة النّفسيّة والاجتماعيّة وهذه الصّيغ مثل: الضّمائر والأسماء وعبارات التّودّد، التي تمثِّل كلًا من علاقات الرّتبة والتّضامن بين المرسل والمرسل إليه [18]. فتعمد هذه الصّيغ إلى الكشف عن تلك الاستراتيجيّة، ومن أهمِّ تلك الصّيغ:

أ. العلم الشّخصي: والمقصود به هنا الاسم الخاص الذي لا أَخَصّ منه ويركّب على المسمّى؛ لتخليصه من الجنس بالاسميّة" [19] كمَا ورد تعريفه في كتب النّحو، وإذَا ما قَرَنَّا العلم الشّخصيّ بالاستراتيجيّة التّضامنيّة فإنَّنا نجد أنَّ حضور الاسم؛ هو طلبٌ لغايّة مقصودة بوصفه مرجعًا رئيسًا للإحالة [20] وغيابه كذلك هو تعبير عن نوع بليغ من التّضامن، ويظهر هذا النّوع من الاستراتيجيّة، في الرّوايّة من خلال غياب التّصريح باسم البطلة، فلا يُذكر اسمها صراحةً في الرّوايّة وهذا دليل على أنَّها متماهيّة في التّضامن، مكتشفة أنّها «**كائن ماديّ يسبح في فضاء هلاميّ، حياتها مجموعة استعارات من الآخرين...اختاروا لك اسمًا يجب أن تُحبَّه وتدافع عن وجوده، كما اختاروا لك إلهًا تعبده وتقتل من يخالفك الرّأي...**» [21]

في الرّوايّة تسعى البطلة جاهدة لبناء شخصيّة قويّة تحاول دومًا إثبات ذاتها تتلوّن شخصيّتها بين مختلف الإيديولوجيات التي تعتنقها تبدأ مدافعة عن الكراهيّة كمعتقد فتقول: «**نحتاج إلى الكراهيّة كي نجعل لحياتنا معنى**» [22] ويظهر التّضامن بالاسم باعتباره آليّة من آليات الاستراتيجيّة التّضامنيّة في مواضعَ كثيرة من خطاب الشّخصيّات المتحاورة.

المنارة للاستشارات

ب. التّأشير الشّخصي: والمقصود بها الاشاريات الشّخصيّة وتسمّى كذلك بالمعيّنات الذّاتيّة (embrayeurs subjectifs)، أو المعيّنات الشّخوصيّة أو الضّمائريّة (embrayeurs personnels)، وهي إحدى المبهمات التي تسهم في بنيّة الخطاب. أو هي تلك "العناصر الإشاريّة الدّالة على شخص (Person) وهي ضمائر الحاضر والمقصود بها الضّمائر الشّخصيّة الدّالة على المتكلّم وحده مثل: أنا أو المتكلّم ومعه غير مثل: نحن، والضّمائر الدّالة على المخاطب مفردًا أو مثنّى أو جمعًا، مذكّرًا أو مؤنّثًا، وضمائر الحاضر هي دائمًا عناصر إشاريّة، لأنَّ مرجعها يعتمد اعتمادا تامًا على السّياق الذي تُستخدم فيه" [23].

وتتجلّى تضامنيّة التّأشير الشّخصي من خلال التّقابل بين الضّميرين "أنا" و"أنت" من أجل الاتفاق والتّضامن أو من أجل التّودّد والتّعاطف والمواساة، كما يظهر ذلك في هذا المقطع: **«ابنتي العزيزة الصّابرة أدامها الله. اعلمي بأنّني أحسّ بالفخر حين أتذكرك وأتحدّث عنك في مجالسّ المجاهدين، ولتعلمي يا ابنتي بأنّني مع مجاهدينا في أفغانستان المؤمنة سننتقم لآلامك وآلام كل المسلمين. باركك الله»** [24]

يكشف هذا المقطع حجم التّضامن الكبير بين رجال التّنظيم الواحد، من خلال تقديم التّأشير الشّخصيّ في صورة ضميريْ "أنا" ويعود على شخصيّة "عبد الله اليَّمني" والذي يعدُّ شخصيّة نافذة في تَّنظيم الأصوليين السّري، كلّف بجمع التّبرّعات وإيصالها إلى أفغانستان، يتنقل بين عدّة مدن سوريّة، مروراً بالرّياض وعدن ولندن وأفغانستان وأمكنة أخرى كانت ميداناً لأحداث كبرى في أواخر القرن الماضي، "عبد الله" كان شيوعياً ماركسياً متّشدداً في موسكو لكنَّه مع موجة الحقد على الإسلام انتهى به الأمر مقاتلاً حتىّ الموت مع المجاهدين العرب في أفغانستان وبين الضّمير "أنتِ" الذي يعود على البطلة، إنَّ التّقابل بين هذين الضّميرين "أنا" في قوله (ابنتي – بأنّني – أحسّ – أتذكّر-

المنارة للاستشارات

أتحدّث) و "أنت" في قوله (اعلمي – أتذكّرك – عنك – لتعلمي- باركك) تكريس لروح التّضامن الكبير بين الأنا وأنت، ثم يعمّق المرسل تضامنه بالجمع بين الضّميرين والمزج بينهما في ضمير واحد هو "نحن" التي ظهرت في (مجاهدينا – سننتقم).

إنّ هذه المرسلة الكلاميّة حملت الخطاب التّواصلي بين الضّميرين (أنا–أنت) وأضيف له ضمير (نحن) الذي يحمل كتلة تضامنيّة في الخطاب يفرق بين نسق الذّات القائمة على الأنا والـ"أنت" فالمرسل من خلاله يسعى إلى تكوين انضمام معلن مع المرسل إليه [25].

تظهر مثل هذه الاستراتيجيّة في حياتنا اليوميّة كثيرًا فعند محاولة إشعار الآخر بالتّضامن معه يبدأ المرسل بتكثيف حضور الضّمير في خطابه والضّمير المقصود هو ضمير المتكلّم والمخاطب، "أمّا ضمير الغائب في بناء الاستراتيجيّة التّضامنيّة فقليل الحضور ولا يعوّل عليه كثيرا إلّا بذكر ما كان من تضامن في زمن ماضٍ. [26]

ت. **النّداء:** هو طلب مرسل الخطاب من المخاطب بالاقتراب المكاني، أو إشعاره بمعنى وجداني، فليس دائما النّداء لتحقيق جلب المنادى والاقتراب مؤشر صريح للتّضامن إضافة إلى أنّه يحمل قيمة معنويّة عاليّة فهو يشعر البعيد برغبة المنادى في الاحتواء؛ اهتمامًا بأمره لذا نجد النّداء مقرونًا بعدد من الآليات التّضامنيّة لقوة تعزيزه ومدى تأثيره [27] ومن صور ذلك في الرّوايّة قول: «**الشّيخ نديم السّلطي قدّمه له بفخر "وسيم الحلواني ابن جراح الأعصاب المصري سمير الحلواني الشّهير"، هزّ برأسه مبتسما وصافح الفتى بحرارة من يريد تشجيعه على الغوص في بحر مضطرب لأوّل مرّة: "أعرفك جيّدًا يا بني"...**» [28].

يكشف هذا النّداء بعدًا وآليّة من آليات الاستراتيجيّة التّضامنيّة، فقول الشّيخ "يا بنيّ" ليس لمجرّد النّداء أو دعوة المخاطَب على الاقبال فقط، وإنّما هو من قبيل التّكافل والتّضامن الذي ينجزه المخاطِب بالنّداء.

المنارة للاستشارات

إذن فالاستراتيجيّة التّضامنيّة بنيت أساسًا على عدد من الآليات مدفوعة بمجموعة من المسوِّغات للوصول إلى غايتها الكبرى المتمثّلة في التّكافل والتّضامن، ليظهر التّضامن في هذه الرّوايّة في تضامن أفراد العائلة الواحدة صغيرة كانت أو كبيرة وتضامن الأصوليّين أفراد التّنظيم فيما بينهم، أو تضامن في الطّرف المعادي لهم جميعا وهو تضامن السّلطة المناوئة لهم ممثّلة في أفراد الجيش وسرايا الموت أو رئيس الجمهوريّة وحاشيته.

2.4 **الاستراتيجيّة التّوجيهيّة:** من الاستراتيجيات الخطابيّة التي يختارها المرسل لاعتبارات سياقيّة ومرجعيّة معيّنة، وهي استراتيجيّة يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض أنَّها لصالح المخاطَب أو المرسل إليه، كما لا يعدُّ التّوجيه هنا فعلا لغويًا فحسب، وإنّما يعدُّ وظيفة من وظائف اللُّغة، يقول نايف خرما: «ووظيفة أخرى للُّغة نحاول من خلالها السّيطرة على محيطنا بشكل دائم ومنظَّم، هي إصدار الأوامر والتّحكم في تصرفات الآخرين، أو السّيطرة على أشياء أخرى في البيئة المحيطة بنا... إنّ جزءًا كبيرًا في حياتنا من اللُّغة التي نستخدمها خلال حياتنا اليوميّة يتألّف من نوع من الأمر: طلب شديد، طلب عادي، طلب لطيف، رجاءً استجداءً...» [29].

وينظر باحثون آخرون للتَّوجيه كمفهوم عام: "بأنَّ المرسل يستطيع من خلال اللُّغة أن يتحكّم في سلوك الآخرين، وهي تعرف باسم الوظيفة "افعل كذا"، و" لا تفعل كذا" كنوع من الطّلب أو الأمر، لتنفيذ المطالب أو النّهي عن أداء بعض الأفعال بمعنى آخر أنّ اللّغة لها وظيفة الفعل أو التّوجيه العمليّ المباشر" [30] ولهذا يعدُّ الخطاب ذو الاستراتيجيّة التّوجيهيّة يعدُّ ضغطًا وتدخلا ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه وتوجيهه لفعل مستقبلي معين" [31] نظرًا لطبيعته السّلطويّة وغايّة مرسله.

1.2.4. **الفهم والرّؤيّة:** في حياة الإنسان اليوميّة وفي تعاملاته "يقوم بنشاط ما تنتج عنه استجابات مختلفة من الآخرين في البيئة المحيطة به فهم يوافقون

المنارة للاستشارات

ويعترضون ويحتجّون ويشجعون ويشتركون ويقاومون" [32]. على النّحو الذي يكتسب به الفرد خصائص تميّزه عن غيره، وإذا ما فتّشنا عن صور هذه الاستراتيجية التّوجيهيّة في الرّوايّة نجدها تظهر على شاكلة آليات لتلك الاستراتيجيّة.

2.2.4. **المسوغ والغايّة:** هناك العديد من مسوّغات استعمال هذه الاستراتيجيّة من باب ما أوجبته عليها العادات الاجتماعيّة، والهموم الثّقافيّة فتشكّلت مسوّغات هذه الاستراتيجيّة وغاياتها فيما يلي:

- الطّابع الرّسمي في العلاقات التّواصليّة، وهذا ما ورد بكثرة في الرّوايّة التي صوّرت البعد الرّسمي ممثَّلًا في السّلطة السّوريّة وحزب البعث، أو في التّنظيم الأصوليّ الإسلاميّ.
- الشّعور بالتّفاوت الفكريّ، أو الاعتبار الاجتماعيّ الطّبقيّ، وهو التّفاوت الذي كان حاسمًا مجسّدًا للصِّراع الإيديولوجيّ في الرّوايّة.
- الحفاظ على التّراتبيّة التي تضمن استمرار الاحترام والتّوقير، هذه التّراتبيّة تحترم بشكل كبير في النّظام العسكريّ (سرايا الموت، وطائفة المظليّين...) أو عند التّنظيم السّريّ الذي يعنى أشدّ عنايّة بالانضباط والاحترام الذي تفرضه الرّتب.
- إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند إنجاز الفعل، وهو ما يبرّر كثرة التّوجيهات والطّلبيات في الرّوايّة.

3.2.4. **التّنفيذ والآليّة:** لتحقيق الاستراتيجيّة التّوجيهيّة عددٌ من الآليات توضّح ما يبتغيه المرسل في خطابه منها:

أ. الأمر: المعنى الأصلي للأمر هو التّنفيذ، ولكن قد يكون غرضه التّهديد حسب السّياق فهو من الآليات البارزة في الاستراتيجيّة التّوجيهيّة لقوّته الانجازيّة، وبالعودة إلى كتب النّحو يظهر إجماعٌ على أنّ الأمر في مفهومه هو "ما يطلب به حصول شيء" دون إهمال للسّياق والمقام [33].

المنارة للاستشارات

والأمر بمفهومه التّداوليّ المرتكز أساسا على المفهوم النّحوي هو أساس الاستراتيجيّة التّوجيهيّة في سياق الخطاب ومقامه، بشكل صريح غير قابل للنّفيّ والتّأويل، ويظهر ذلك في الرّوايّة من خلال قول الرّاوِيّة: «**طلبت الإذن بالكلام فأوجل دوري إلى ما بعد حديث الأمير الذي افتتحه بآيّة كنّا نردِّدها يوميًا "وَأَعِدُّوا لَهُم مّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ..." قالها بتفخيم وبهدوء، أخبرنا أن المفاوضات لن تعود مع السّلطة والنّصر قريب وضربات موجعة وجهت إلينا ولم تؤثر في خلخلة التّنظيم**». [34] ورد الفعل التّوجيهي في قوله (اعدّوا) فهذا الفعل يحمل قوّة إنجازيّة توجيهيّة مباشرة، ممثّلة في الطّلب ويقوم هذا الخطاب على لفظة محوريّة (اعدُّوا) وهنا يجب ملاحظة أنَّه ولنجاح ذلك الفعل الكلامي المحدَّد لابدَّ من توافر جملة من العناصر المتعلّقة بشروط قياسيّة اسماها "أوستن" شروط الملاءمة وتتمثّل هذه الشّروط في أنَّه يجب أن يكون المشارك في الموقف اللُّغوي صادقًا في أفكاره ومشاعره ونيّاته.

ب. النّهي: يأتي النّهي بوصفه جزءًا من الأمر ولكن بالضّد منه، فليس طلبًا لفعل الشّيء، بل الكفّ عنه باستعمال حرف الجزم "لا" على وجه الاستعلاء، [35] بمعنى أن يقول "القائل لمن دونه لا تفعل" [36] ويشترط اللُّغويون عادة وجود الاستعلاء –امتلاك السّلطة- لتمكين النّاهي من تنفيذ حكمه على وجه اللُّزوم غير أنَّ الاستراتيجيّة التّوجيهيّة في الخطاب السّردي لا تشترط فكرة الاستعلاء على وجه اللُّزوم، وإن وجد ذلك فليس من باب الشّرط الأساسي، وممَّا ورد في الرّوايّة: «**شرح تفاصيل اغتيال الرّئيس ودون تلكؤ قال ببرود "سنهاجم السّجن الصّحراويّ هذه اللّيلة" ثم خطّ على الطّاولة بقبضته "لا تتركوا أيّ واحد منهم تشرق عليه الشّمس"**» [37].

تتمثّل الاستراتيجيّة التّوجيهيّة هنا في لفظة (لا تتركوا) وهو فعل توجيهيّ حمل قوّة إنجازيّة كبيرة جعلت الضّباط ينفذون التّوجيه الذي تلقّوه، مستندين على سلطتهم العسكريّة التي منحت لهم، "فللسُّلطة أثر كبير في إنتاج الخطاب

المنارة للاستشارات

ومنحه قوّته الإنجازيّة، فلا يستطيع غير القاضي أن يصدر حكمًا أو أن يفصل في قضيّة اجتماعيّة"[38]، والفعل (لا تتركوا) يوحي بوجود علاقة سلطويّة تحكم المشاركين في الحوار، وبذلك يصدر الخطاب هنا من أعلى رتبة إلى أدنى درجة حيث يمثّل قائد سرايا الموت السّلطة التي بإمكانها إنفاذ أمر القتل ويرضخ الضّباط بالتّالي لمشيئة تلك السّلطة الباطشة.

فالخطاب السّردي (لا تتركوا) في هذا السّياق لم يستثن أحدًا؛ لا شيخا ولا مريضًا ولا امرأة أو عجوزًا... بتأثير سلبي وبالنّظر إلى واقع تحقّق الفعل الكلامي وفق محتواه القضوي. فالطّائرة حطّت في الصّحراء قرب بوابة السّجن الصّحراوي تأكّد الجنود من صلاحيّة بنادقهم، فأعداؤهم عبارة عن أكياس آدميّة مقيّدة بحديد وسلاسل مثبّتة إلى الجدران، أو كما يتخيّلونها هم بلا روح أكوام مرميّة هنا وهناك.

ت. الاستفهام: يأتي الاستفهام ضمن آليات الاستراتيجيّة التّوجيهيّة، وهو سؤال وتساؤل يطلقه مرسل الخطاب؛ لطلب الفهم من المرسل إليه، أو لتوجيهه نحو دلالة مضمرة يكشف غايتها مقام الخطاب. والاستفهام في التّداوليّة إنّما هو تطويرٌ للفكرة البلاغيّة وتقديمها بشكل يمثّل المخاطِب والمخاطَب، وما يقف خلفهما من افتراضات الأوّل وتأويل الثّاني بوصفهما جماعة تواصل (Communication Community).[39]

وفي مدوّنة الدّراسة يبني الاستفهام الاستراتيجيّة التّوجيهيّة في الحوارات الدّائرة بين شخوصها في سياق تواصليّ معيّن، تقول البطلة: «**قلت لرضوان: "لماذا أعطيتني الرّسائل؟ ضحك وأجابني..."سأموت في الشّتاء المقبل" ثم أضاف العميان يحبّون الموت تحت المطر" بعد أيّام حمل إليّ أوراقا وتلفت حوله كمن يودّع سرا خطيرا "هل نامت مريمّ؟"**»[40].

إنَّ الاستفهامات المحقّقة في المقطع السّردي الماضي من فئة الاستفهام المباشر الذي يريد إجابة واضحة، وتتجلّى الاستراتيجيّة التّوجيهيّة في قوّة الفعل

المنارة للاستشارات

الإنجازيّة وفيه توجيه من مرسل الخطاب بطلب الفهم والإجابة الواضحة عن استفهاماته، ففهم المرسل إليه السّؤال وتوجه للإجابة عنه، والمراد من السّؤال الأوَّل توجيه المرسل إليه ليس للإجابة فقط بل توجيهه إلى قراءة رسائل رضوان _الرّجل الضّرير_ الذي وقع في حب مريم، وتوجيه المرسَل إليه بالسّماح إليه بقراءتها بعدما كانت سرًا كبيرًا احتفظ به لسنوات طويلة، ثم في الاستفهام الثّاني يريد المرسِلُ (رضوان) توجيه المرسَل إليه (البطلة) إلى كتمان أمر الرّسائل على مريم، وإخفائِها. وهو استفهام يدعو المرسل إلى الاطلاع والكتمان وقس عليه هناك الكثير من الاستفهامات التي خرجت في معانيها إلى معنى الاستراتيجيّة التّوجيهيّة.

ث. **الرّجاء والتّمني:** وهو خطاب المتحسّر الفاقد للقدرة؛ لتلبيّة ما يتعذّر تحقيقه ويختلف التّمني عن الرّجاء في الخطاب بشيئين: أحدهما التّحسّر المرافق للتَّمني مع فواته واستحالة تحقيقه. والآخر ملازمة الرّجاء للتَّوسل والالحاح طلبا لتَّنفيذه، وعليه فالتّمني أقرب إلى تلفُّظ عن زمن مضى، والرّجاء لزمن حاضر وإنجاز مستقبلي يجنح نحو الاستعطاف أو التّرويح عن النّفس.[41] ويظهر ذلك في قول البطلة: «**تمنيت لو كان مبصرا كي يرى صورتي الجديدة ويؤمن أنّ ما تركته ورائي شيئا باهتًا لا تحتاج إليه أيّة امرأة تريد أن تصبح أميرة لجماعتها... تملّكتني مهابة بعد إبلاغي قرار تعييني أميرة الطّالبات**»[42].

تظهر الاستراتيجيّة التّوجيهيّة في هذا المقطع السّردي من خلال توجيه المرسل (البطلة) مشاعرها وأمنيَّاتها إلى طلب الأمر المستحيل والملازم له بتحسّر على حالة رضوان الضّرير، وفي الوقت نفسه توجيه المرسل إليه إلى أمر آخر وهو ما فسَّرته فيما بعد عن ضرورة احترام البطلة لأنَّها صارت أميرة الجماعة.

وخلاصة ما يمكن قوله؛ إنَّ الاستراتيجيّة التّوجيهيّة لها العديد من الآليَّات التي تتحقَّق بها، بالإضافة إلى ما سبق ذكره هناك: أسلوب التّرهيب والتّرغيب

المنارة للاستشارات

والتّحذير وذكر العواقب والاطفاء والنّمذجة والتّغذيّة الرّاجعة كما أنّ هذه الاستراتيجيّة تخضع للعديد من المعايير أهمّها: الاختلاف بين المرسل والمتلقّي السّلطة بين طرفي الخطاب، الكمّ التّواصلي بين المرسل والمتلقّي.

3.4 **الاستراتيجيّة التّلميحيّة**: وهي الاستراتيجيّة التي يبلّغ بها المرسل مقاصده عن طريق التّلميح، والتّلميح في جوهره، مفهوم يسير في الجانب الموازيّ للخطاب المباشر مع وجود قصد مضمر غابت معه الدّلالة البيّنة الجاهزة لإنتاج المعنى فيحتاج المرسل إليه حينئذ إلى التّأويل والاستدلال لكشف المضمر [43].

وتستند هذه الاستراتيجيّة في عمومها على الاستدلال، الذي تعرّفه **"أرشيوني"** بقولها: «إنَّها عمليّة قد تطلق على كل قضيّة مضمرة، نستطيع استخراجها من ملفوظ ما، واستنباطها من محتواها الحرفيّ» [44] لذلك يسعى المخاطَب لفك شفرات الخِطاب لفهم محتوياته.

1.3.4. **الفهم والرّؤيّة**: إنَّ هذه الاستراتيجيّة التّلميحيّة هي استراتيجيّة غير مباشرة تحتاج من المرسل إلى عمل ذهنّي يتجاوز فيه الشّكل اللُّغويّ للوصول إلى القصد أو المعنى المراد باطنًا [45] وهذا لا شكَّ خلاف منطق اللُّغة الطّبيعيّة، غير أنَّ لذلك ما يسوِّغه. [46]

2.3.4 **المسوّغ والغايّة**: ممّا يدعو لاختيار هذه الاستراتيجيّة نذكر:

- الحرص على التّأدب في مخاطبة الآخرين بالكنايّة والتّوريّة وغيرها، كما حدث في مقاطع الرّوايّة، سنأتي على ذكرها في آليات التّلميح؛
- إعلاء الذّات والانتصار لها، فأحداث الرّوايّة السّياسيّة كلّها من أجل إثبات الذّات، ومن أجل تذويت الكتابة الرّوائيّة، أي إفساح المجال لحضور الذّات المتكلّمة وإسماع صوتها؛
- الرّغبة في التّملص من مسؤوليّة القول، والعدول على الإكراه، وحفظ ماء الوجه؛

المنارة للاستشارات

- حاجة الخطاب السّردي فهو خطاب أدبي جمالي وما يجمله آليات هذه الاستراتيجيّة، لأنَّها سلوك طريق التّقيّة.

3.3.4.التّنفيذ والآليات: هناك العديد من الآليات التي تتَّبعها الاستراتيجيّة التّلميحيّة المعينة لها على تنفيذها في الخطاب السّردي وممّا يلي هو الأبرز:

أ. الرّمز: الرّمز له بعدٌ تلميحيٌّ يعفي الخطاب معه من التّصريح، فالرّمز هو كلُّ إشارة أو علامة محسوسة تذكر بشيء غير حاضر [47]، من هذا المنطلق يشكلُّ الرّمز آليّة تلميحيّة مهمّة، لا تخلو منها عموم التّعبيرات السّياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة ولا يختلف عنها الخطاب السّردي. [48] وليس النّص الذي بين أيدينا بمنأى عمَّا يميِّز الخطاب السّردي فالرّمز فيه يميِّز الاستراتيجيّة التّلميحيّة بدلالات مختلفة تقولُ الرّاويّة: «**أسمع أنين الغرفة المهجورة فكّرت بالمكان حين نهجره كيف يتحوّل في ذاكرتنا إلى خرافة...اكتسبت أشيائي بعدًا رمزيًا...**» [49]

إنَّ المكان في هذه الرّوايّة يكتسي قدسيّة خاصّة وبعدًا رمزيًا يحيل في الكثير من المرّات على الحزن والأسى، إنَّه رمزٌ للكراهيّة رمزٌ للحزن، وقليلة هي الأماكن في هذا النّص التي يلمِّح وترمزُ إلى السّعادة والفرح، لذا فإنّ الغرفة في هذا المقطع السّردي تحوّلت إلى رمز يئنُّ ويتحسَّس مثله مثل الكائن الحيّ، فبالغياب تتحوّل الأشياء الخاصّة إلى أبعاد رمزيّة تقول أشياءً كثيرةً، وتحمل مشاعر وأحاسيس كبيرة تبني معها الاستراتيجيّة التّلميحيّة.

ب. الاستعارة: تنفّذُ الاستعارة بوظيفتها العرفانيّة الاستراتيجيّة التّلميحيّة لأنَّها ذات "مردود استكشافي قوي باعتبارها تمكِّنُ باعتماد القياس، من تفسير ميدان جديد أو قليل التّحديد بميدان معروف" [50]، تعرّف الاستعارة كذلك على أنَّها "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللُّغة إلى غيره؛ لغرض ما" [51] ويتجلّى البعد التّلميحيّ لهذه الاستراتيجيّة في العدول عن المعنى في

المنارة للاستشارات

موضع استعماليّ إلى غيره، ويسمّى ذلك في البلاغة اضمار علاقة المشابهة.[52] ومن نماذج الاستعارة التي ظهرت في النّص الرّوائي، تقول البطلة: «**فجأة أحسّت بأنَّ كل ما حلمت به كان وهمًا، حتّى المكان أصبح عاجزًا عن استعادة صورته القديمة...**»[53].

تتّضح التّلميحيّة من خلال هذا المقطع السّرديّ في المضمر من القول والمضمر هنا الإنسان الذي يحيا ويموت ويحس ويتألّم ويعجز، وهذه الأخيرة لا تنطبق واقعًا على المكان إلّا إذا كان المقصود التّلميح إلى أنّه مكان كالإنسان باعتبار قاعدة التّشخيص المعنويّ في صورة محسوسة.

ت. **الكنايّة:** وهي ترك التّصريح بذكر الشّيء إلى ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك، والكنايّة أنفع –أحيانًا– للاستراتيجيّة التّلميحيّة من الاستعارة لحاجتها إلى الوقوف بعمق أكثر خلف المقام الثّقافيّ والاجتماعيّ الموجه للتّكنيّة فتقترب وتبتعدّ من فهم المرسل إليه بحسب ما يمتلكه من مرجعيات وكيفيّات؛ حيث إنّ الكنايّة إحاليّة "تتعلّق باستعمال كيان للإحالة على كيان آخر تجمع بينهما علاقة معيّنة"[54]. ومن الكنايات التي مثّلت الاستراتيجيّة التّلميحيّة في قول الرّاويّة:

«**كنت أحتاج أن يراني أحرق استعاراتي، جلست وحيدة، الصّمت ينذر بوحشة خريف سنقضيه أنا ومريم ورضوان وحيدين**»[55].

يظهر التّلميح في هذا المقطع السّردي عن طريق اللّفظ المخفيّ غير المصرّح به في عبارة (أحتاج أن يراني أحرق استعاراتي) هذا المقطع حمل من التّلميح ما تداخلت فيه الاستعارة والكنايّة، فالكنايّة ليست نوعا مستقلا من المجاز، وإنّما هي جزء من الاستعارة، لأنّ الاستعارة لا تكون إلّا حيث يطوى المستعار له، وكذلك الكنايّة فإنّها لا تكون إلّا حيث يطوى ذكر المكنّى عنه،[56] إنَّ الاستعارات لا تحرق فهي ليست ورقًا أو وقودًا، كما أنَّ لفظة الاستعارات هي لفظة جامعة مكنًّى بها عن كل ما هو قديم من أفكار وآراء.

المنارة للاستشارات

ث. التّناص: تعرفه "جوليا كريستيفاّ بأنّه: «حضور متزامن بين نصّين، أو عدّة نصوص، أو هو الحضور الفعليّ لنص داخل نص آخر بواسطة السّرقة والاستشهاد ثمَّ التّلميح» [57]. ومن هنا يتّضح أنَّ التّناص ينفذ باقتدار الاستراتيجيّة التّلميحيّة لما يحمله من معان قد تغيب عن المرسل إليه فالتّداوليّة تطالعنا بمفهوم آخر للتّناص؛ إذ أنّه لم يبقَ مفهومًا مجرّدًا يعني تناسل النّصوص بعضها من بعض، بل هو قيمة يعوِّل عليها بين المتخاطبين في العمليّة التّواصليّة. وفي قول الرّاوي نموذجًا للتّناص: **«لمس جدّي سجّادة نُقِشَ عليها هذا البيت من الشّعر لأبي الطّيّب المتنبّي:**

لكِ يا منازلُ في القلوب منازلُ أقفرتِ أنت وهنّ منكِ أواهلُ.» [58]

يظهر التّناص في هذا المقطع السّردي من خلال الحضور الفعّال لقول أبي الطّيب المتنبي، وليس المراد بالقول مجرّد تزين السّجادة وإنّما حمل رسالة مليئة بالمشاعر التي يكنّها صانع السّجاد إلى مدينة حلب.

إنّ الاستراتيجيّة التّلميحيّة حاضرة بقوّة في الخطاب السّردي وفي روايّة "مديح الكراهيّة" على وجه الخصوص، لأنّ في الرّوايّة الكثير من الإضمار يخشى من التّصريح به، فالرّوايّة كما نعلم هي تأريخ لمرحلة مظلمة من التّاريخ العربي السّوريّ الذي لا يودُّ أي شخص تذكُّره، وفي جهة أخرى يأبى هذا التّاريخ إلّا أن يكون حاضرًا في الذّاكرة الفرديّة والجماعيّة للشّعب السّوري. وهناك العديد من الآليات التي حقّقت الاستراتيجيّة التّلميحيّة بالإضافة إلى ما ذكر: التّعريض والاستفهام والتّوريّة...

5.**خاتمة:** تعدّ دراسة استراتيجيات الخطاب من التّوجهات الحديثة في الدّرس اللساني المعاصر، والمقصود بها الطّريقة المحدّدة التي يتخذها الخطاب سبيلا للوصول إلى غايته وأداء وظائفه، مراعيا قرائن الحال والسّياق، وتختلف باختلاف غرض المتكلّم هذا الغرض هو من يحدّد الاستراتيجيّة التي تتناسب معه. ومن أهم الملحوظات التي سجّلناها في هذه المقاربة:

المنارة للاستشارات

- الخطاب السّرديّ له ما يميّزه عن باقي الخطابات، وأنّ المناهج الحديثة قد أثبتت فعاليتها في سبر أغواره ومحاولة تقصّي مقاصده في سياقات التّواصل المختلفة بين أطراف الخطاب؛
- إنَّ فكرة الاستراتيجيات الخطابيّة هي لا محالة فكرة تقتضي أنَّ لكلّ مرسل خطاب ومقصديّة من وراء خطابه، ويتّخذ من الآليات كل ما من شأنه أن يوصل القصد من خطابه؛
- لكلّ استراتيجيّة من الاستراتيجيات السّابقة الذّكر ما يبرّرها ولها مسوّغات العمل بها، فالاستراتيجيّة التّضامنيّة يسعى فيها المرسل جاهدًا إلى تقدير المتلقّي وتوقيره. وتبقى العلاقة بينهما حسنة، في حين أنّ الاستراتيجيّة التّوجيهيّة هي التي يسعى فيها المرسل إلى تحقيق مقاصد خطابه مباشرة بشكل واضح دون اعتبار لنوعيّة العلاقة بينه وبين المتلقّي، وهو بدوره يستعين بالاستراتيجيّة الحجاجيّة وأمَّا الاستراتيجيّة التّلميحيّة فهي التي يكون فيها المرسل يعمد إلى إضمار خطابه لغايّة ما ويوجّهه للمرسل إليه الذي بدوره يفهم مقصديّة ذلك لتتم العمليّة التّواصليّة التي أساسها القصديّة.

المنارة للاستشارات

هوامش:

[1] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغويّة تداوليّة، كنوز المعرفة الأردن الأردن، ط2، 2015، ص 90.

[2] المرجع نفسه، ص 53.

[3] المرجع نفسه، ص 56.

[4] المرجع نفسه، ص 52- 53.

[5] المرجع نفسه، ص 72.

[6] جابر عصفور، آفاق العصر، دار الهدى للثقافة والنّشر، دمشق، سوريا، ط1، 1997 ص 47.

[7] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي، المركز الثّقافي، الدّار البيضاء، ط3، 1997، ص 19.

[8] Michel Foucault, La volonté de Savoir. Ed. Gallimard, 1976.- p.153.

[9] دليلة قسميّة، استراتيجيات الخطاب في الحديث النّبوي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في اللغة العربيّة وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012، ص 71.

[10] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعارف الجامعيّة مصر، 2002، ص 89.

[11] عبد الغني بارة: الأساس اللغوي في فهم القرآن لدى علماء الأصول، المؤتمر الدّولي الرّابع للغة العربيّة، المجلس الدّولي للغة العربيّة، ص 194.

[12] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، ص 256.

[13] المرجع نفسه، ج2، ص 15.

[14] إدريس مقبول، الاستراتيجيات التّخاطبيّة في السّنة النّبويّة، مجلّة كليّة العلوم الإسلاميّة المجلد الثّامن، العدد:15، 2014، ص 543.

[15] المرجع نفسه، ج 2، الصّفحة نفسها.

[16] خالدّ خليفة، مديح الكراهيّة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط4، 2015، ص 121.

[17] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، ج2، ص 12.

[18] William Bright, International Encyclopedia of Linguistics, volume 1, P23.

[19] عبد الغني الدّقر، معجم القواعد العربيّة في النّحو والتّصريف، دار القلم، دمشق، ط3 2001، ص 335.

[20] محمّد بن عبد الله المشهوري، التّداوليّة السّرديّة في خطاب الأقصوصة النّسائيّة، دار كنوز المعرفة الأردن، ط1، 2019، ص 406.

[21] الرّوايّة، ص 274.

[22] الرّوايّة، ص 104.

المنارة للاستشارات

[23] محمّد بن عبد الله المشهوري، التّداوليّة السّرديّة، ص 17،18.

[24] الرّوايّة، ص 293.

[25] ينظر: محمّد بن عبد الله المشهوري، التّداوليّة السّرديّة، ص 410.

[26] المرجع نفسه، ص 411.

[27] المرجع نفسه، ص 412.

[28] الرّوايّة، ص 297.

[29] نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللغويّة المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، ص 174.

[30] جمعة سعد يوسف: سيكولوجيّة اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1990، ص 21.

[31] عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، ص 323.

[32] جون ديوي، الطّبيعة البشريّة والسّلوك الإنساني، ترجمة: محمّد لبيب النّجيمي، مؤسّسة الخانجي القاهرة، ط1، 1963، ص 41.

[33] محمّد بن عبد الله المشهوري، التّداوليّة السّرديّة، ص 426، 427.

[34] الرّوايّة، ص 217.

[35] يوسف بن محمّد السّكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة بيروت ط1، 2000، ص 429.

[36] علي بن محمّد الجرجاني، التّعريفات، تحقيق: محمّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، ط1 2009، ص 345.

[37] الرّوايّة، ص 237، 238.

[38] مرتضى جبار كاظم، اللسانيات التّداوليّة في الخطاب القانوني، منشورات الاختلاف الجزائر 2015، ص 64.

[39] محمّد بن عبد الله المشهوري، التّداوليّة السّرديّة، ص 434.

[40] الرّوايّة، ص 340.

[41] محمّد بن عبد الله المشهوري، التّداوليّة السّرديّة، ص 440.

[42] الرّوايّة، ص 119.

[43] محمّد بن عبد الله المشهوري، التّداوليّة السّرديّة، ص 451.

[44] حسن بدوح، المحاورة مقاربة تداوليّة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012، ص 151.

[45] محمّد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، ج2، ص 135.

المنارة للاستشارات

[46] محمّد بن عبد الله المشهوري، التّداوليّة السّرديّة، ص453.

[47] جبور عبد النّور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1989، ص 123.

[48] ينظر: محمّد بن عبد الله المشهوري، التّداوليّة السّرديّة، ص 465.

[49] الرّوايّة، ص 320.

[50] باتريك شارودو، دومينيك مانغينو، معجم تحليل الخطاب، ص 364.

[51] بدوي طبانة، معجم البلاغة العربيّة، ص 469.

[52] انظر: إيلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ترجمة: عماد عبد اللطيف، خالدّ توفيق المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013، ص 40.

[53] الرّوايّة، ص 326.

[54] بول ريكور، الاستعارة الحيّة، ترجمة: محمّد الولي، مراجعة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد بيروت طَ، 2016، ص 120.

[55] الرّوايّة، ص 323.

[56] ضياء الدّين بن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة منشورات دار الرّفاعي، الرّياض، ج1، ط2، 1983، ص 247.

[57] عبد القادر بقشي، التّناص في الخطاب النّقدي والبلاغي: دراسة نظيرة وتطبيقيّة، إفريقيا الشّرق المغرب، ط1، 2007، ص 22.

[58] الرّوايّة، ص51.

المنارة للاستشارات